دراسات مصطلحية

مجلة حولية محكمة يصدرها معهد الدراسات المصطلحية

العدد الخامس : 1427هـ-2006م

محتويات العدد

كلمة العدد : 7

❖ تقويم المصطلح الفرع.

أ.د. الشاهد البوشيخي 9

ملف العدد: كيف ندرس المصطلح؟ 15

❖الإحصاء في الدراسة المصطلحية

د. ادريس الفاسي الفهري

د.نجيب بن عبد الله 17

❖ الدرأسة المعجمية للمصطلح

د. مصطفى اليعقوبي 31

❖ الدراسة النصية للمصطلح

د. مصطفى فوضيل 41

❖ الدراسة المفهومية للمصطلح

دة.فريدة زمرد 51

❖العرض المصطلحي للمصطلح

د. محمد أزهري 63

دراسات نظرية: 83

❖ النحت والتوليد في المصطلحات العلمية

د. علي القاسمي 85

❖ البنية الاصطلاحية للالتفات تشكلها وتحليلها

د. عماد عبد اللطيف 105

البنية الاصطلاحية للالتفات: تشكلها وتحليلها

عماد عبد اللطيف *

نستخدم مصطلح " البنية الاصطلاحية " لنشير إلى مجموعة التعلقات بين مصطلح واحد ومفاهيم مختلفة فى ميدان محدد. ويكوّن كل تعلق من هذه التعلقات وحدة مصطلحية؛ حيث الوحدة المصطلحية هى "وحدة لغوية دالة مؤلّفة من كلمة أو من كلمات متعددة وتسمى مفهوماً محدداً وحيد الوجهة داخل ميدان ما". (1) ووفقاً لهذا التحديد فإن مفهوم البنية الاصطلاحية ذو بعد تاريخى، حيث تتضمن البنية الاصطلاحية مجموعة من المفاهيم التى أنتجها ميدان محدد فى إطار زمنى محدد.

يمثل الالتفات بنية اصطلاحية تتكون من مجموعة من الوحدات المصطلحية، فقد قدمت البلاغة العربية عدداً كبيراً من المفاهيم لمصطلح " الالتفات " هذه المفاهيم المتشابكة المتباينة خضع انبثاقها لقانون صيرورة العلم. وأثر فى هذا الانبثاق عوامل متعددة. وسوف يقوم البحث بتتبع مفاهيم مصطلح الالتفات لفك الاشتباك فيما بينها، والكشف عن تعلقاتها وتبايناتها، وموقع كل منها من حركة تطور علم البلاغة، والعوامل التى أثرت فى هذه البنية، مقترحاً إجراءات منضبطة للتحديد الاصطلاحى. وينقسم البحث بذلك إلى قسمين اثنين:

الأول: ملامح البنية الاصطلاحية للالتفات والعوامل المؤثرة فيها.

الثانى: إجراءات ضبط البنية الاصطلاحية للالتفات.

---

* ــ مدرس مساعد ، كلية الآداب ــ جامعة القاهرة.

(1) المصطلحية: مقدمة فى علم المصطلح: د. على القاسمى: نشر دائرة الشئون الثقافية والنشر، بغداد 1985م. ص 215.

أولاً: ملامح البنية الاصطلاحية للالتفات والعوامل المؤثرة فيها:

أ – ملامح البنية الاصطلاحية للالتفات:

يظهر تتبع دراسات المحدثين المعنية بالالتفات أن هناك تباينا فى المفاهيم التى يحيل عليها المصطلح، وينعكس هذا التباين – على سبيل المثال – فى الإحصاءات التى تعنى بحصر الالتفات فى نص ما، فعلى مدار ست سنوات قدم أربعة دارسين أربعة إحصاءات لعدد الالتفاتات فى القرآن الكريم، ثلاثة منها شملت النص القرآنى بأكمله، واقتصر الرابع على إحصاء الالتفات فى

م	عنوان الكتاب/ المقالة	اسم المؤلف	سنة النشر	مجموع عدد الالتفاتات	عدد تحولات الضمائر
1	الالتفات فى القرآن.(1)	الشاذلى الهيشرى	1988م	157	157
2	أسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية.(2)	د.حسن طبل	1991م	790	327
3	Grammatical Shift for Rhetorical Purposes: Iltifat Related Features (3)and	م.س. عبدالحليم	1992م	أكثر من 400	331
4	Deixis (Iltifat)in the (4) Quran	لبنى إسماعيل	1994م	—	151 في عشرين سورة

عشرين سورة مختارة بوصفها عينة، هذه الإحصاءات هى:

(1) حوليات الجامعة التونسية 1988م، عدد 28، ص131.

(2) نسخة مصورة عن نسخة منشورة عام 1991م دون ذكر لدار النشر. وقد أعيد نشر الكتاب فى دار الفكر العربى عام 1998م.

(3) Bulletin of School of Oriental and African studies, Vol vi/part3/ Page 410

(4) رسالة ماجستير مخطوطة بالجامعة الأمريكية.

من خلال الجدول السابق يتضح أن ثمة تبايناً فى الإحصاءات التى قدمتها المؤلفات الأربعة لـ " الالتفات " فى نص واحد هو القرآن الكريم. هذا التباين، العميق عمق المسافة بين مائة وسبعة وخمسين" التفاتاً"، وسبعمائة وتسعين "التفاتاً"، يرجع إلى تباين المفاهيم التى تبنتها كل دراسة للالتفات. ففى حين قصر الشاذلى الهيشرى مفهوم الالتفات على التحولات بين الخطاب والغيبة أدخل حسن طبل فيه تحولات أعداد المخاطبين ونوعهم، والتحولات بين الماضى والمضارع والأمر، وبين الفعل واسم الفاعل، وبين حروف الجر، وبعض التراكيب النحوية والمفردات المعجمية. ورغم اتفاق لبنى إسماعيل والشاذلى الهيشرى فى تبنى مفهوم واحد للالتفات فإن إحصاءيهما يختلفان؛ إذ لكل إحصاء "التفاته" الخاص الذى يبحث عنه.

هذا التعدد، الذى لا يضبطه حد، يستند إلى أصل تراثى حيث يتخذ الباحثون المعاصرون من التراث البلاغى مرجعيتهم فى تحديد مفهوم الالتفات، ولأن التراث البلاغى ذاته قدم مفاهيم متعددة للالتفات فقد تبنى كل باحث أحد هذه المفاهيم بوصفها " الالتفات " على إطلاقه. **وواقع الحال أن مصطلح " الالتفات " على إطلاقه لا يسمّى شيئاً؛ لأنه قد يسمى كل شيء.** لقد قمنا باستكشاف مبدئى لحصر مفاهيم " الالتفات " فى التراث البلاغى فوجدنا أن لمصطلح الالتفات ثلاثة عشر مفهوماً فى التراث البلاغى تحيل بدورها على ثلاث عشرة ظاهرة مختلفة. ولم يكن إطلاق مصطلح الالتفات على هذه الظواهر نتاجاً لفعل التراكم المعرفى حول ظاهرة أولى دائماً، أى أن الوحدات المصطلحية داخل البنية الاصطلاحية للالتفات ليست – دائماً – تطويرا منضبطاً للوحدة المصطلحية الأولى، ويؤكد ذلك أن كثيراً من هذه الظواهر له مصطلحاته المستقرة قبل الالتفات، وهى مصطلحات شائعة فى التراث البلاغى والدراسات المعاصرة على السواء.

إن تتبع البنية الاصطلاحية للالتفات يكشف عن بعض الاضطراب فى المعرفة البلاغية عند البلاغيين القدماء. ولتعميق الوعي بالخطاب البلاغى التعريفى حول الالتفات قمنا بتحديد أقوى الظواهر تعلقاً بالالتفات، وهى ظاهرة تحولات الضمائر مع ثبات المرجع، وحاولنا قراءة الخطاب البلاغى التعريفى حولها، فوجدنا أن التراث البلاغى يقدم ثمانية مصطلحات بخلاف "الالتفات" للإشارة إليها. بما يؤكد أن ثمة اضطراباً فعلياً فى الخطاب البلاغى التعريفى بالظواهر البلاغية فى التراث العربى يتمثل فى إطلاق أكثر من مصطلح على ظاهرة واحدة، وإحالة مصطلح واحد على أكثر من ظاهرة، ووجود ظواهر مهمة لم يصطلح عليها، ووجود مصطلحات تشير إلى ظواهر مبهمة.

المحور الثانى يهتم فى إحدى جزئياته بأثر مباحث النص القرآنى فى صياغة المصطلحات البلاغية، وقد كان هذا الأثر فاعلاً إلى الحد الذى دفع د. عبدالحكيم راضى إلى القول بأن

أصحاب الدراسات القرآنية هم من قاموا بتأسيس هيكل أو نظام المصطلحات الرئيسية فى مجموعة الأساليب التى يقوم عليها البحث البلاغى. (1)

إزاء هذا الاضطراب يتحتم فعلان؛ الأول: الكشف عن عوامل إنتاج الاضطراب عبر نقد الخطاب البلاغى التعريفى، والثانى: تأسيس إدراك علمى بالبنية الاصطلاحية للالتفات عبر الاستفادة من علم المصطلح فى بلورة إجراءات منضبطة للبنى الاصطلاحية.

ب – عوامل اضطراب البنية الاصطلاحية للالتفات:

تتلخص هذه العوامل فى:

1 – أثر قداسة النص:

دراسة العلاقة بين علوم البلاغة ومباحث الخطاب القرآنى بوصفه لغة تتحدد فى محورين مترابطين:

الأول: دور البلاغة فى الانتصار لإعجاز القرآن بلاغياً.

الثانى: دور مباحث الخطاب القرآنى بوصفه لغة (معانيه – تفسيره – إعجازه – قراءاتـــه) فى نشأة البلاغة العربية.

ويقابل هذا الدور التأسيسى بدور آخر مخلخل للاصطلاح، مصدره بعض المصطلحات التى عُدت غير متسقة مع بعض الأسس العقدية، وذلك إثر إحداث مطابقة للدلالة اللغوية للكلمة مع دلالتها الاصطلاحية. وتقدم البلاغة العربية نماذج لتعدد المصطلح لأسباب عقدية، ورفض مصطلح بعينه لتماسه مع قداسة النص أو منشئه، (2) ومن أمثلة ذلك قول التنوخى فى الأقصى القريب: "وقد جاء فى الكتاب العزيز كثير من ذلك، أعنى ما يتبادر الذهن فيه إلى خواتم الآى، ولا ينبغى أن نسميه إرصاداً ولا إيغالاً". (3)

هذه " اللاينبغى " واضحة الدلالة على أثر قداسة النص القرآنى وقداسة منشئه فى خلخلة الاصطلاح البلاغى. حيث يترك هذا النص القاطع البلاغىَّ القديم، الذى يظن أن

---

(1) انظر: نظرية اللغة فى النقد العربى: د. عبدالحكيم راضى – الخانجى – ط1 1980م. مبحث الدراسات اللغوية حول القرآن ص 395-475.

(2) انظر نظرية اللغة: ص: 433 – 443.

(3) الأقصى القريب = التنوخى: طبعة الخانجى – مصر 1909هـ 1 /15.

اصطلاحاً ما يمسُّ المقدس، بين اختيارين: الأول: أن يضع تسمية لا تمسُّ المقدس، والثاني: أن لا يسمي المفهوم ويتركه دون مصطلح. والاختياران تحققا في تنظير القدماء للالتفات.

فالدعوة إلى إلغاء المصطلح لتعارضه مع قداسة منشئ النص نسمع صداها في قول جمال الدين الأندلسي " ومن هذا الباب قول الله عز وجل - وإن لم يطلق عليه لفظ الالتفات من حيث إنه لا يستعمل في الله عز وجل -: (إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين)[1] " [2]

أما عدم تسمية المفهوم وتركه عارياً عن المصطلح في سياق وروده في القرآن الكريم فقد اطرد في حقل معرفي كامل هو حقل القراءات القرآنية، في مؤلفات أبي علي الفارسي وابن خالويه والأزهري والعكبري وغيرهم " [3].

كما تواتر ذلك في كثير من التفاسير مثل تفاسير الطبري والطوسي والفخر الرازي وابن الجوزي، والطبري، والخازن" [4]

---

(1) سورة الأحزاب آية 50.

(2) المعيار في نقد الأشعار: لأندلسي. ت. د. عبدالله هنداوي، مطبعة الأمانة ط1 1987م. ص166.

(3) انظر على سبيل المثال:

1 ــ الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي" 370هـ": تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، نشر دار المأمون للتراث، بيروت ط1 1987م. 3 / 141 ــ 153.

2 ــ معاني القراءات لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري 370هـ: تحقيق: د. عيد مصطفى، د. عوض بن حمد القوزي. دار المعارف، مصر ط 1993م. 2 / 96.

3 ــ الحجة في القراءات السبع لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه" 377هـ":تحقيق د. عبدالعال سالم مكرم - نشر مؤسسة الرسالة ط1 1990م - بيروت ص 121.

4 ــ إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري ت (617)هـ، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت. 1 /6 ــ 2 / 26.

(4) انظر:

1 ــ جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري ت 310هـ، تحقيق محمود محمد شاكر، نشر دار المعارف، مصر د. ت. 1 / 153-154.

2 ــ التبيان في تفسير القرآن للطوسي: ت" 460هـ"، المطبعة العلمية، النجف، العراق 1957م: 35/1.

3 ــ التفسير الكبير للفخر الرازي: نشر المطبعة البهية المصرية د. ت: 252/1.

4 ــ زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج الجوزي: نشر المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ط1. 1964م 14/1.

الاحتكام فى التحديد المفهومى للمصطلح إلى دلالته اللغوية:

اللغة هى المتن الذى يأخذ منه الاصطلاح مادته، حيث ينتخب من مفرداتها ما يناسبه ويجرده عن دلالته اللغوية، ويكسبه دلالة اصطلاحية.

ويوضح الجرجانى، فى تعريفه للاصطلاح. العلاقة بين الدلالة اللغوية للفظ ودلالته الاصطلاحية، يقول: " **الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشىء باسم، ونقله عن موضوعه الأول لمناسبة بينهما أو لمشابهتهما فى وصف أو غيرها** ". (أ)

2- 1 ــ استخدام مرادف لغوى للمصطلح ليحل محله:

تضمُّ قائمة المصطلحات الدالة على مفهوم تحولات الضمائر الألفاظ الآتية: (2)

1 - الالتفات. 2 - الانصراف. 3 - الصرف.

والمصطلحات الثلاثة تلتقى فى دلالة تحويل الاتجاه ففى لسان العرب " لفت وجهه عن القوم: صرفه.. وتلفت إلى الشىء والتفت إليه: صرف وجهه إليه...، واللفت: الصرف، يقال ما لفتك عن فلان، أى ما صرفك عنه،... ولفت فلاناً عن الشىء يلفته لفتاً: صرفه...، ولفتّ فلاناً عن رأيه أى صرفته، ومنه الالتفات ". (3)

والفرق بين الصرف والانصراف فرق بين صيغتين صرفيتين لمصدرين متحدى المادة.

والمفردات الثلاث استخدمت للدلالة على مفهوم واحد، استناداً إلى تقارب دلالتها

---

5 ــ مجمع البيان للطبرسى: نشر دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - القاهرة 1958م. 1/ 40.

6 ــ باب التأويل فى معانى التنزيل: للخازن: 1 /16.

(أ) نقلاً عن كتاب: مقدمة فى علم المصطلح د.محمود فهمى حجازى. نشر دار غريب، مصر 2000م ص 10. ولقد نقل هذا التعريف د. محمود فهمى حجازى عن طبعة ليبنتز، ولم يستطع الباحث الحصول عليها. والطبعات الأخرى للكتاب تتوقف بالتعريف عند كلمة" الأول". ثم تورد تعريفات أخرى للاصطلاح. تشترك فى ذلك طبعات - طبعة سلطان بايزيددده چادرجيلر جاده سى - استنابول 1990م ص18. وطبعة المطبعة الحميدية المصرية سنة 1321هـ ص18. وطبعة عالم الكتب- تحقيق عبدالرحمن عميرة - مصر ط1 1987م ص50. 4- طبعة دار الكتاب المصرى ودار الكتاب اللبنانى ط1 1991م ص44. حيث تشترك الثلاث الأولى فى تقديمها خمس تعريفات للاصطلاح، أما الطبعة الأخيرة فقدمت التعريف الأول وحده ولم تورد بقية التعريفات. والتعريفات الخمسة ليس فيها التعريف الذى أورده د. حجازى نقلاً عن طبعة ليبتسج.

(2) راجع قائمة المصطلحات الدالة على مفهوم تحولات الضمائر.

(3) لسان العرب: إعداد وتصنيف يوسف خياط، نشر، دار لسان العرب، بيروت د – ت. 3/379-380.

المعجمية، إن تبادلية المفهوم بين عدد من المصطلحات يلغي الوحدة المصطلحية التي تتحقق باقتران دال محدد بمفهوم محدد. وخلخلة العلاقة بينهما عن طريق إبدال الدال بمقارباته المعجمية يضعف البنية المصطلحية.

3 – تعدد المجالات المعرفية المهتمة بالالتفات:

نأسست البلاغة العربية لتكون نقطة تقاطع بين عدد من الحقول المعرفية، اختص كل حقل منها بمادته ومنهجه وغايته، من هذه الحقول: علوم اللغة، وعلوم القرآن، وعلم الكلام والمنطق، ونقد الشعر وشروحه، ومن الطبيعي أن يترك كل مجالٍ بصمته على ما رفد به البلاغة العربية، ومن بينها مصطلحاتها، فكثير من هذه المصطلحات يكون قد اكتمل في حقله المعرفي الخاص قبل أن ينتقل إلى البلاغة " مثل مصطلح المجاز "، وبعضها حُمِّل في حقله الأصلي بدلالة غير التي حملها حين انتمى إلى البلاغة، وأدى استمرار الترافد بينهما إلى الجمع بين المفهومين. ومن هذه المصطلحات: الالتفات.

فمفهوم الالتفات في كتب شروح الشعر يختلف – غالباً – عن مفهوم الالتفات في كتب التفسير. وقد تبنى أكثر البلاغيين المفهوم الذي قدمته كتب تفسير القرآن، **ولأن حقلي شروح الشعر والبلاغة تربطهما علاقة تساند، على أساس أن البلاغة تستمد بعض قوانينها من الشعر، الذي يشتغل به شراحه بأدوات منها البلاغة، ليكون بينهما ما بين النظرية ومادتها من تفاعل، فقد اعتمدت بعض كتب البلاغيين المفهومين للمصطلح الواحد.**

وليس غريباً أن تضطرب البنى الاصطلاحية المأخوذة من حقول معرفية متباينة تنتمي إلى أصول معرفية متباينة إذا جمعها حقل واحد. لكن الغريب حقاً أن تضطرب هذه البنى داخل أجزاء الحقل المعرفي الواحد، وهو ما تحقق بالفعل في حقل البلاغة العربية.

يقول التنوخي: "ومن البيان أن المتكلم يحصل في ذهنه ما يؤول إليه كلامه، فيضع أول كلامه دالاً على آخره، وقد يكون مستدعياً لقوافٍ مخصوصة كما في الشعر. ويسمى مثل هذا الإيغال، وهذا من اصطلاح أرباب البديع، وقد اختار بعض أهل البيان أن يسمى ذلك إرصاداً ".(1)

(1) الأقصى القريب: ص 104.

هنا لا ينتج تعدد المصطلح إلا عن رغبة أرباب البديع وأهل البيان فى أن يختص كل منهما بمصطلح رغم اتحاد ما يشير إليه المصطلحان. وعلى نحو مشابه – وإن اختلفت النتيجة – يدور نقاش حول الالتفات، يقول المغربى فى مواهب الفتاح: "فإن قلت لأى وجه خصص تسميته بعلماء المعانى، مع أن عد الالتفات من البديع أقرب، لأن حاصل ما فيه، على ما يأتى، أنه يفيد الكلام ظرافة وحسن تطرية، فيصغى إليه لظرافته وابتداعه، ولا يكون الكلام به مطابقاً لمقتضى الحال، فلا يكون من علم المعانى، فضلاً عن كونه يختص بهم فيسمونه به دون أهل البديع.

قلت: أما كونه من الأحوال التى تذكر فى علم المعانى فصحيح، كما إذا اقتضى المقام فائدته، من طلب مزيد الإصغاء لكون الكلام سؤالاً أو مدحاً أو إقامة حجة أو غير ذلك. فهو من هذا الوجه من علم المعانى. ومن جهة كونه شيئاً ظريفاً مستبدعاً يكون من علم البديع، وكثيراً ما يوجد فى المعانى مثل هذا فليفهم، وأما تخصيص علماء المعانى بالتسمية فلاحجر فيه والله أعلم " (1)

ويعلق الدسوقى قائلاً: "... فتسمية ذلك النقل بالالتفات عند علماء المعانى لا تنافى تسميته بذلك أيضاً عند غيرهم". (2)

المعترض على ثبات التسمية – كما يقدمه المغربى – يبنى قضيته على ما يظنه مسلمات من قبيل:

1 – أن الوظيفة هى التى تحدد الانتماء إلى علم المعانى أو البيان أو البديع.

2 – أن ثمة انفصالاً جذرياً بين العلوم الثلاثة.

3 – أن كل علم يجب أن يستقل بمصطلحه.

ومطلبه غير المعلن: اختصاص البديع بالالتفات، واختصاص البديع بتسميته.

ويبنى المدافع خطة دفاعه على:

1 – تقسيم الالتفات بين علمى المعانى والبديع بإثبات تحقيقه لوظائف تخص العلمين.

2 – ينتج عن ذلك رفع الحرج عن اختصاص أحدهما بالتسمية.

لست معنياً بالدخول فى حواراتهم التى يشوب بعضها التعسف، ولكن ما يستوقفنى هو أن –

(1) شروح التلخيص: 1/ 463.

(2) المصدر السابق 1. / 463.

تحديد المصطلح لم يعد مرهوناً بطبيعة المفهوم، بل بطبيعة الوظيفة، التي أصبحت محل الانتماء لحقل أو لغيره من حقول البلاغة.

وهكذا بقدر تعدد الوظائف " التي لا يمكن التحكم فيها " تتعدد الانتماءات، وتتعدد بالتبعية المصطلحات والصراعات حول أحقية امتلاكها، وتتشكل معادلة اصطلاحية جديدة يهمّش فيها المفهوم " شبه الثابت " لصالح الوظيفة " دائمة التغير" لتنتج سيولة اصطلاحية لا يمكـــــن أن يضبطها حد.

4 – بعض القراءات المضطربة للنصوص البلاغية الأقدم:

افتراض أن بعض البلاغيين التبست قراءاتهم لنصوص سابقيهم لا يوسم بالجدة ولا الشجاعة، فقد سبق عبد القاهر الجرجاني إلى القول بذلك حيث يقول: "واعلم أنك لا ترى في الدنيا علماً قد جرى الأمر فيه بديئاً وأخيراً على ما جرى عليه في علم الفصاحة والبيان... وأما الأخير، فهو أنا لم نر العقلاء قد رضوا من أنفسهم في شيء من العلوم أن يحفظوا كلاماً للأولين ويتدارسوه، ويكلم بعضهم بعضاً من غير أن يعرفوا له معنى، ويقفوا منه على غرض صحيح، ويكون عندهم إن يُسألوا عنه بيان أو تفسير، إلا "علم الفصاحة"، فإنك ترى طبقات من الناس يتداولون فيما بينهم ألفاظاً وعبارات، من غير أن يعرفوا لها معنى أصلاً، أو يستطيعوا – إن يُسألوا عنها – أن يذكروا لها تفسيراً يصحُّ ". (1)

أما افتراض أن هذه الأخطاء قد زلزلت كثيراً من البنى الاصطلاحية للبلاغة العربية فهو ما نحاول البرهنة عليه من خلال رصد أشكال من القراءات الملتبسة للنصوص السابقة، وتجلية أثرها في اضطراب البنية الاصطلاحية للالتفات وهي:

4-1- خلط مفهوم مصطلح الالتفات في مؤلّف ما بمفاهيم غيره من المصطلحات المجاورة له في المؤلف نفسه:

يقول ابن رشيق: "باب الالتفات: وهو الاعتراض عند قوم، وسماه آخرون الاستدراك، حكاه قدامة، وسبيله أن يكون الشاعر آخذاً في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول إلى الثاني فيأتي به، ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل في شيء مما يشدّ الأول. كقول كثير:

لو أن الباخلين – وأنت منهم – رأوك تعلموا منك المطالا

(1) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة 1984م ص 457.

فقوله: "وأنت منهم" اعتراض كلام فى كلام، قال ذلك ابن المعتز وجعله باباً على حدته بعد باب الالتفات، وسائر الناس يجمع بينهما...، وقال عوف بن محلم لعبد الله بن طاهر:

إنّ الثمانين — وبلغتها — قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

قوله: "وبلغتها" التفات، وقد عده جماعة من الناس تتميماً، والالتفات أشكل وأولى بمعناه". (1)

فى هذا النص القصير يقع ابن رشيق فى عدد من الالتباسات القرائية المتصلة، فهو يقدم للالتفات بوصفه مصطلحاً يرادف مصطلحين آخرين يعلم اختصاص كل منهما بمفهومه الخاص المغاير لمفهوم الالتفات، هما الاعتراض والاستدراك، ثم يقدم مفهوماً يخص أحدهما وهو الاعتراض "اعتراض كلام فى كلام". ويمثل له بأمثلة ينقلها من ابن المعتز فى باب الاعتراض. ويحتج لهذا بأن "سائر الناس يجمع بينهما"، ثم يستشهد للالتفات بمثال ينتمى إلى مفهوم آخر، له مصطلح معروف هو: "التتميم"، ويجعله من الالتفات معلناً أن "الالتفات أشكل وأولى بمعناه"، ثم يستشهد للالتفات بأمثلة تنتمى إلى مفهوم ثالث له مصطلح معروف هو "الاستدراك" ولا بئس يعلق على الشاهد بقوله: "وهذا هو الاستدراك" ومادام هو الاستدراك فلابد أنه أيضاً الالتفات.

إن نص ابن رشيق الملتبس عن الالتفات امتداد لنصوص سابقة عليه، من أهمها وأكثرها شهرة نصا الحاتمى والباقلانى، الحاتمى (ت388)هـ يجعل الالتفات هو الاعتراض.(2) والباقلانى (403)هـ لا يقدم مفهوماً للمصطلح، بل يقدم أمثلة تنتمى إلى أربعة مفاهيم مختلفة، تتداخل التعليقات الخاصة بكل منها فى الآخر.(3) ومعظم هذه الأمثلة مأخوذ عن بديع ابن المعتز. سواء التى يوردها الحاتمى أو الباقلانى. ومن المحتمل أنهما قرآه، وخلطا بين أبوابه المتجاورة.

لقد فطن السجلماسى إلى ما وقع فيه ابن رشيق من خلط. ولم يتحرج أن يسميه: "غلطاً". يقول:

" واسم الالتفات هو اسم مشترك بين هذا المعنى الواقع فى هذا النوع(يشير إلى تحولات الضمائر) والمعنى الآخر هو النوع الأول من جنس التتمة، وهو المسمى " اعتراضاً " وكأنه

(1) العمدة: ابن رشيق القيروانى، تحقيق محيى الدين عبد الحميد، نشر دار الجيل، بيروت ط4 1972م ص45، 46.

(2) المصدر السابق: ص45، 46.

(3) إعجاز القرآن نشر مكتبة الحلبى، مصر. ط1 1987 ص 32.

اعتراض تشكيك. ولذلك غلط من عدها نوعاً واحداً غير متباين. ونحن فلما ألفيناهما هنا معنيين متباينين معقولين واسمين، والأسماء فى أصل الوضع على التباين وذلك بالذات، والاشتراك فيها بالعرض فصلنا وأنزلنا كل واحد منهما نوعاً فى الجنس الذى يرتقى إليه، ويقتضى الدخول تحته، وخصصناه بأنسب الاسمين إليه، فخصصنا هذا النوع باسم الالتفات، وخصصنا النوع الآخر باسم الاعتراض، كما سيرد. وفاقاً فى الأول لاستعمال الاسم عند الجمهور عند النقل، وفى الثانى لموضوع صناعة النحو، لمشابهة هذا المعنى الملقب اعتراضاً للمعنى الذى يلقبه النحويون كذلك". (1)

ورغم تنبه السجلماسى لهذا الخلط فإن كثيراً من دارسى البلاغة لم يستوقفهم اضطراب المفاهيم فى نص ابن رشيق وغيره ممن نقل عنهم أو نقلوا عنه. (2) واحتاط من استوقفه ذلك فأثار احتمال أن يكون تجاور بابى الالتفات والاعتراض عند ابن المعتز سبباً فى جمع البعض من اللاحقين بينهما. (3) وهذه المقالة تحتاج إلى أن تعكس حتى تصح. حيث إن سوء قراءة البعض لكتاب البديع هى التى تسببت فى الجمع بين بابين متجاورين لكل منهما مصطلحه ومفهومه وأمثلته الخاصة. وليس هذا كل شىء حيث إن ثالث مفاهيم الالتفات عند ابن رشيق " الرجوع أو الاستدراك " يتلو بابى الالتفات والاعتراض فى بديع ابن المعتز، وابن رشيق والباقلانى يستشهدان على الالتفات بأمثلة من أمثلة " الرجوع " عند ابن المعتز.

وهكذا يتضح ما حدث، فالناس الذين تحدث عنهم ابن رشيق رأوا أبواباً ثلاثة متوالية فى " البديع ": الالتفات وشواهده، والاعتراض وشواهده، والاستدراك " الرجوع " وشواهده. وعبر ممارسات قرائية غير أمينة ولا دقيقة، أزيلت الحدود بين المصطلحات، واختلطت الشواهد، وضاعت المفاهيم.

هؤلاء الناس الذين تحدث عنهم ابن رشيق فى القرن الخامس، امتداد لأناس آخرين وإن كانت قراءاتهم أقل التباساً لقرب الشقة الزمنية بينهم وبين الأصل، ذكرهم قدامة فى نقد الشعر، يقول: " ومن نعوت المعانى: الالتفات، وبعض الناس يسميه الاستدراك

---

(1) المنزع البديع ص 442.

(2) انظر على سبيل المثال مصطلح الالتفات فى: معجم البلاغة العربية: بدوى طبانة، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب.

(3) التغير الدلالى ص 283.

وهـــو..."(أ) هؤلاء وهؤلاء وإن اختلفت درجاتهم قريبون من أناس عبدالقاهر الذين " يتداولون فيما بينهم ألفاظاً للقدماء وعبارات، من غير أن يعرفوا لها معنى أصلاً، أو يستطيعوا إن يُسألوا عنها أن يذكروا لها تفسيراً يصح".

4-2- نسبة رأي إلى غير صاحبه:

يقول السيوطى فى الإتقان " الاعتراض: وسماه قدامة التفاتاً، وهو الإتيان بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب فى أثناء كلام أو كلامين اتصلا معنى لنكتة غير دفع الإيهام ". (2)
ومعروف أن مفهوم قدامة للالتفات لا يمسُّ الاعتراض من قريب أو بعيد.

4-3- الفصل بين أجزاء الشاهد الواحد:

يقول السجلماسى: " ومنه (يعنى الاعتماد) قول جرير:

متى كان الخيام بذى طلوح — سقيت الغيث أيتها الخيام ؟

وقوله (جرير) فيما حكى إسحق الموصلى قال: " قال لى الأصمعى: أتعرف التفاتات جرير، قلت: لا، فأنشدنى:

أتنسى إذ تودعنا سليمى — بفرع بشامة ؟ سقى البشام !

وإنما سماه التفاتاً باسم قسيمه لأنهم لم يكونوا تميز لهم هذان النوعان اللذان ينقسم جنس الانفتال إليهما، فكانوا يسمونهما باسم الالتفات. وكذلك كان ابن المعتز يفعل ". (3)
ولم يفعل ابن المعتز ذلك، فابن المعتز استشهد ببيتى جرير بوصفهما شاهداً واحداً غير مجزوء، وليسا شاهدين يقول "... وقال جرير:

متى كان الخيام بذى طلوح — سقيت الغيث أيتها الخيام
أتنسى يوم تصقل عارضيها — بعود بشامة سقى البشام. "(4)

لم يحدد ابن المعتز موطناً للشاهد. ولكن بحسب المفهوم الذى قدمه فإن الشاهد يوجد فى البيت الأول حيث التحول من الغيبة إلى الخطاب. ولعل ما أوقع السجلماسى فى هذا الالتباس أن البيتين يتواتر ذكرهما بوصفهما شاهدين منفصلين فى المؤلفات البلاغية بعد ابن المعتز، ويتواتر حضور ثانيهما فى رواية الأصمعى عن الالتفات.

(أ) نقد الشعر: ص164.
(2) الإتقان فى علوم القرآن 3 / 223.
(3) المنزع ص 445، 446.
(4) البديع ص 59.

5 – طبيعة لغة الدراسات البلاغية القديمة:

يصف عبدالقاهر الجرجاني لغة سابقيه من البلاغيين قائلاً:

"واعلم أنك لا ترى فى الدنيا علماً قد جرى الأمر فيه بديئاً وأخيراً على ما جـــرى عليـــه فـــى علم الفصاحة والبيان.

أما البدىء، فهو أنك لا ترى نوعاً من أنواع العلوم إلا وإذا تأملت كلام الأولين الـــذين علّموا الناس، وجدت العبارة فيه أكثر من الإشارة، والتصريح أغلب من التلويح، والأمر فى " علم الفصاحة " بالضد من هذا، فإنك إذا قرأت ما قاله العلماء فيه، وجدت جله أو كله رمزاً ووحياً، وكناية وتعريضاً، وإيماءً إلى الغرض من وجه لا يفطن له إلا من غلغل الفكر، وأدق النظر، ومن يرجع من طبعه إلى ألمعية يقوى معها على الغامض، ويصل بها إلى الخفى، حتى كأن بسلاً حراماً أن تتجلى معانيهم سافرة الأوجه لا نقاب لها، وبادية الصـــفحة لا حجاب دونها، وحتى كأن الإفصاح بها حرام، وذكرها إلا على ســـبيل الكنايـــة / غـــير سائغ". (1)

هذه اللغة التى تُلوِح لا تُصرح، تُكنى لا تُسمى، حـــين تصـــبح أداة للاصطلاح، تصبح مصدراً للاضطراب الاصطلاحى، وذلك بافتقادها الوضوح والتحديد وهما سمتا اللغة الاصطلاحية.

ورواية الأصمعى التى اعتمد عليها كثير من البلاغيين فى وضع مفهوم للالتفـــات يصدق عليها وصف عبدالقاهر، فجملة الأصمعى – إن صحت نسبتها إليه – غير واضحة الدلالة على مفهومٍ بعينه، وتفتقد التحديد. إن أقدم ورود لرواية الأصمعى كان استشـــهاد الحاتمى بها فى بابه عن الالتفات يقول " عن إسحاق بن إبراهيم الموصلى قـــال: قـــال لى الأصمعى: أتعرف التفاتات جرير ؟ قلتُ: وما هى، فأنشدنى:

أتنسى إذ تودعنا سليمى بعود بشامة سقى البشام

أما تراه مقبلاً (على) (2) شعره، ثم التفت إلى البشام، فدعا له !؟ ". (3)

---

(1) دلائل الإعجاز ص 455.

(2) حرف الجر ساقط من التحقيق ويستلزمه بناء الجملة، كما أنه وارد فى رواية أبى هلال وابن رشيق.

(3) حلية المحاضرة: ص 388.

هذه الرواية التى صرح أغلبُ دارسى البلاغة [1] بأنها أول ذكر للمصطلح يمكن تحليلها إلى ثلاثة أجزاء:

1 – حوار ممهد يذكر فيه المصطلح.

2 – شاهد.

3 – تعليق على الشاهد " لا يتضمن مفهوماً ".

لم يجب الأصمعى عن سؤال سائله عن مفهوم الالتفات، رغم أنه هو نفسه واضع السؤال الذى صيغ فى شكل اختبار للمعرفة، والأصمعى هو الطرف الفاعل فى اللعبة، فهو الذى يوجه سؤالاً، يدرك ضمناً أن المسئول لا يعرف إجابته، ويعلن المسئول جهله متحولاً إلى سائل، ثم بعد كل ذلك يقدم الأصمعى إجابة مخاتلة.

هذه الإجابة / التعليق كانت سبباً مباشراً لتعدد مفاهيم مصطلح الالتفات، فقد فهم منها أبو هلال العسكرى أن الالتفات هو: " أن يفرغ المتكلم من المعنى فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به. " (2)

ولم يجد الحاتمى فى الرواية ما يخلخل يقينه بأن الالتفات هو الاعتراض. وبدوره لم يجد ابن وكيع فيها ما يخلخل يقينه بأن الالتفات هو انصراف عن مخاطبة إلى إخبار وعن إخبار إلى مخاطبة [3]، بينما لم يعلق ابن رشيق أصلاً على الرواية، وحشرها كما هى بين الالتفات مصطلحا دالا على مفهوم التتميم، والالتفات مصطلحا دالا على تحولات الضمائر، دون أن يستشهد بالرواية على أحدهما.

أما الباقلانى فكان أقلهم إدراكاً للظاهرة وفهماً للرواية معاً، حين صرّح تعليقاً على الرواية بأن " معنى الالتفاتات أنه اعترض فى الكلام ". وربما هيأ له ذلك إسقاطه لتعليق

---

(1) انظر: معجم البلاغة لبدوى طبانة ص 616، معجم المصطلحات البلاغية لأحمد مطلوب: ص174، التغير الدلالى لعبدالحكيم راضى، ص280، الالتفات لتريه عبدالحميد ص20، أسلوب الالتفات لحسن طبل ص4، الالتفات فى حاشية الشهاب لهاشم محمد هاشم ص27.

(2) كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكرى، تحقيق د. مفيد قميحة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ط2 1984ص 439.

(3) كتاب المنصف: ابن وكيع التنيسى. تحقيق عمر بن إدريس، نشر جامعة قار يونس، بنغازى ط1994 ص 166 – 167.

الأصمعي على البيت كلية، فلم يبق من روايته إلا الحوار والشاهد.

6 – الاتجاه المعكوس لفعل التأسيس الاصطلاحي

ثمة قاعدة اصطلاحية تحدد أن المفهوم هو الذي يولد الحاجة إلى اللفظ، ولا يوجد لفظ يولد الحاجة إلى مفهوم. (1)

وتتأسس هذه القاعدة على قاعدة أخرى مؤداها أن " الوظيفة الأساسية لنظام المصطلحات هي الدلالة على نظام المفاهيم، فمن الضروري – ليكون علم المصطلح علماً محدداً وناجعاً – أن تعكس نشأة المصطلحات نشأة المفاهيم ". (2)

لكن البلاغة العربية – في بعض نماذجها – تقدم لنا طرحاً معكوساً للقاعدة حيث يسير فعل التأسيس الاصطلاحي عكس اتجاه القاعدة لتصبح الحركة من المصطلح إلى المفهوم.

هذا التأسيس المعكوس يؤدي إلى خلخلة الدلالة الاصطلاحية في الحالات التي يوجد فيها (3)، والتي يعد الالتفات إحداها، حيث تحفل كتب البلاغة العربية القديمة برواية عن الأصمعي، توصف بأنها أول ذكر للالتفات، وكان من آثار هذه الرواية التشتت المفهومي الذي اعترى الالتفات، تقول الرواية كما أوردها الحاتمي:

" عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: قال لي الأصمعي: أتعرف التفاتات جرير ؟ قلت: وما هي، فأنشدني:

أتنسى إذ تودعنا سليمى بعود بشامة سقي البشام

أما تراه مقبلاً (علي) شعره، ثم التفت إلى البشام فدعا له !؟. " (4)

والرواية ذكرها ابن رشيق في العمدة مع اختلافات طفيفة في المتن، وكبيرة في السند حيث المسئول إسحق الموصلي وليس الصولي، أما عند الحاتمي فمحمد بن يحيى الصولي ينقل عن يحيى بن علي عن أبيه عن إسحق الموصلي. ورواية الحاتمي هي الأقدم، وينقلها عنه الباقلاني

---

(1) في مفهوم الإيقاع: محمد الهادي الطربلسي: حوليات الجامعة التونسية عدد 32 لسنة 1991 ص8.

(2) علم المصطلح بين المعجمية وعلم الدلالة: الإشكالات النظرية والمنهجية، عثمان بن طالب ضمن" تأسيس القضية الاصطلاحية" أعمال ندوة بيت الحكمة تونس 1989م ص97.

(3) لعل أوضح مثال على أثر التأسيس المعكوس للاصطلاح على تشتت الدلالة الاصطلاحية هو الخلاف الممتدُّ حول مفهوم لفظ المعاظلة عند قدامة والحاتمي والآمدي والعسكري وابن رشيق، ومن قبلهم ابن سلام وثعلب، ومن بعدهم ابن الأثير والعلوي، والسبب الجوهري لهذا الخلاف هو إطلاق اللفظ دون مفهوم، ثم محاولة خلق مفهوم له، وقد عرض للقضية بشكل مفصل د. عبد الحكيم راضي في مقاله. التغير الدلالي في المصطلح النقدي.

(4) حلية المحاضرة: ص388.

في مؤلفه " إعجاز القرآن " والرواية في صيغها الثلاث تتضمن مصطلحاً بغير مفهوم، فتعليق الأصمعي على البيت بحمل إمكانية مفهومية مفتوحة، سمحت بحرية التأويل التي قام بها البلاغيون بعده، فالرواية الواحدة فهم منها أبو هلال العسكري أن " الالتفات: هو أن يفرغ المتكلم من المعنى فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به ". (1) وفهم منها الحاتمي أن الالتفات هو الاعتراض، دون أن تخلخل يقينه في ذلك، بينما وضع ابن رشيق الرواية بين مفهومين للالتفات: الأول ما ذكر أنه قد أُطلق عليه لفظ التتميم، والثاني ما استقر الاصطلاح عليه بعد ذلك بالالتفات " تحولات الضمائر "، ولم يعلق على الرواية بما يفيد اقترانها بأحد المفهومين، والمؤكد أن الرواية لا تدل على أحدهما، ولا تدل على الاعتراض أيضاً، فكل ذلك نتاج لقراءة ملتبسة للأمثلة المستشهد بها، ولعل أبا هلال كان أدق فهماً منهما حين حاول استخلاص مفهوم يخص الرواية فقط، وجعل هذا المفهوم أحد مفهومين للالتفات أخذ ثانيهما عن قدامة ابن جعفر.

وهكذا كان الانطلاق من لفظ ومثال يحملان إيحاءات مفهومية – وليس مفهوماً محدداً – مسئولاً بدرجة ما عن اضطراب الدلالة الاصطلاحية للالتفات.

ثانياً: إجراءات عملية ضبط البنية الاصطلاحية للالتفات في التراث البلاغي:

هذه الإجراءات بعضها من إنجازات المصطلحية وعلم المصطلح، وبعضها الآخر اجتهاد مبني على مراعاة خصوصية المادة البلاغية من حيث خصوصية نشأتها وامتدادها التاريخي، وافتراشها مساحات تنتمي إلى حقول معرفية متعددة، واستخدام منجزها لصالح حقول أخرى.

إجراءات ضبط البنية الاصطلاحية للالتفات

1 – تثبيت مصطلح " الالتفات " ورصد ما يتعاوره من مفاهيم.

2 – تحليل مفهوم تحولات الضمائر إلى عناصره الأساسية.

3 – تثبيت مفهوم تحولات الضمائر ورصد ما يتعاوره من مصطلحات.

(1) الصناعتين: ص 431.

1 – تثبيت المصطلح ورصد ما يتعاوره من مفاهيم:

يستفيد هذا الإجراء مما يعرف بتحليل المفاهيم Concepts-analysis وهو " ضبط المحتوى المفهومي لمصطلح ما، أي تحديد المفهوم ودراسة محمله وتوسعه " (أ) وقد طورنا هذا الإجراء في اتجاه المسح التاريخي للمحتوى المفهومي لمصطلح الالتفات، انطلاقاً من خصوصية الكتابة البلاغية العربية من حيث عمقها الزمني وامتدادها المعرفي. وهو ما يعوزنا إلى تدقيق مصطلحاتها، عبر استقصاء هذه المصطلحات فيما تيسر من مؤلفاتها. ومن حيث كونها لا نضجت ولا احترقت تعوزنا إلى الوعي بتحولات مصطلحاتها ومراوغاتها.

والجدول التالي يكشف عن المفاهيم التي تعاورت على مصطلح الالتفات في التراث البلاغي العربي.

مفاهيم مصطلح الالتفات ق 3 هـ ـ ق 12 هـ

	المفهوم	صاحبه – زمنه – توثيقه	المجال المعرفي الذي ينتمي إليه المؤلف المذكور فيه
1	أن يفرغ المتكلم من المعنى فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه، يلتفت إليه فيذكره بغير ماتقدم به	الأصمعي 211هـ - رواية منقولة	نقد الشعر
		ابن جني 392هـ - الخصائص 1/210-211	شرح الشعر
		الثعالبي 395هـ - فقه اللغة ص 434	علم اللغة العربية
		أبو هلال العسكري 395 – الصناعتين ص438	نقد الشعر والنثر
		المرزوقي 421هـ - شرح الحماسة 1 /349	شرح الشعر
		التبريزي 502هـ - شرح المفضليات ص947	شرح الشعر
		الرازي 606- نهاية الإيجاز ص203	البلاغة العامة

(أ) المصطلحية: مرجع سابق، ص 234.

		التهانوى 1119هـ - كشاف اصطلاحات الفنون ص 1388	معجم مصطلحا
2	التحول من الخطاب أو الغيبة أو التكلم إلى الآخر	ابن المعتز 296هـ - البديع ص 59	نقد الشعر
		ابن وكيع التنيسى 395هـ المنصف ص 166	نقد الشعر
		الخوارزمى 387هـ - مفاتيح العلوم ص 60	معجم مصطلحات
		الباقلانى 403هـ - إعجاز القرآن ص30	إعجاز القرآن
		ابن رشيق 456هـ - العمدة - ص46	نقدالشعر والنثر
		الزمخشرى 538هـ - الكشاف 1 /118	تفسير القرآن
		وقد ورد لدى أكثر مفسرى القرآن بعد الزمخشرى مثل:	
		أبو حيان الأندلسى - البحر المحيط 1 /24	تفسير القرآن
		النسفى - مدارك التنزيل - 1 /16	تفسير القرآن
		النيسابورى - غرائب القرآن 1 /108	تفسير القرآن
		الرازى 606 هـ - نهاية الإيجاز ص203	البلاغة العامة
		السكاكى 636هـ مفتاح العلوم ص113	
		ضياء الدين بن الأثير-المثل السائر- 2 167	البلاغة العامة
		القزوينى: الإيضاح ص72	البلاغة العامة
		شراح التلخيص مثل:	البلاغة العامة
		1 - السبكى: شروح التلخيص 1 /463	

		2 – التفتازاني: شروح التلخيص 1 /463	البلاغة العامة
		3 – المغربي: شروح التلخيص 1 /463	البلاغة العامة
		4 – البابرتي: شرح التلخيص ص256	البلاغة العامة
		الجرجاني ق8 – التعريفات ص 57	معجم مصطلحات
		التهانوي – كشاف اصطلاحات – ص1389	معجم مصطلحات
3	الانصراف من معنى إلى معنى آخر	ابن المعتز – البديع ص 59	نقد الشعر
4	أن يلتفت المتكلم إلى نقض خفي داخل عليه في مقصد كلامه، أو يخشى تطرق النقض إليه، فيحتال فيما يرفع النقض، ويزيل التطرق، ويشير إلى ذلك ملتفتاً	قدامة 337هـ – نقد الشعر ص 147	نقد الشعر
		أبو هلال العسكري 395هـ – الصناعتين ص439	نقد الشعر والنثر
		ابن أبي الإصبع 654هـ – بديع القرآن ص42	البلاغة العامة
		حازم القرطاجني 684هـ– المنهاج ص316	نقد الشعر
		نجم الدين بن الأثير 737هـ –جوهر الكنز ص119	البلاغة العامة
	اعتراض كلام في كلام	الخاتمي 388 – حلية المحاضرة ص 157	نقد الشعر
		ابن وكيع – المنصف ص168	نقد الشعر
		الباقلاني –إعجاز القرآن ص32	إعجاز القرآن
		ابن رشيق – العمدة ص45	نقد الشعر والنثر
		التبريزي 502هـ – الوافي ص 278	نقد الشعر

		أبو طاهر البغدادى 517هـ - قانون البلاغة ص 110	البلاغة العامة
		نجم الدين بن الأثير - جوهر الكنز ص120	البلاغة العامة
		التهانوى- كشاف اصطلاحات الفنون ص1388	معجم مصطلحات
6	الاستدراك على كلام سابق	ابن رشيق - العمدة ص47	نقد الشعر
7	الخروج عما كان مقتضى حقه استخدام ضمير بعينه إلى ضمير آخر	السكاكى - المفتاح ص 112 شراح التلخيص - شروح التلخيص 1 /467	البلاغة العامة
8	التحول من الفعل المضارع وعكسه والتحول من المضارع إلى الأمر وعكسه	ضياء الدين بن الأثير - المثل السائر 2 /181	البلاغة العامة
		نجم الدين بن الأثير -جوهر الكنز ص122	البلاغة العامة
		العلوى - الطراز 2 /136	البلاغة العامة
		الزركشي - البرهان 3 /386	علوم القرآن
9	أن يقدم المتكلم فى كلامه مذكورين، ثم يخبر عن الأول منهما، وينصرف عن الإخبار عنه إلى الإخبار عن الثانى، ثم يعود فينصرف عن الإخبار عن الثانى إلى الإخبار عن الأول	ابن أبى الإصبع المصرى - بديع القرآن ص45	البلاغة العامة
10	الخروج من معنى إلى	القرطاجنى - منهاج البلغاء ص314	نقد الشعر

	معنى دون واسطة أو قصد		
	الرجوع من التثنية إلى الجمع ومن الجمع إلى الواحد	ينسبه السبكى إلى مجهول -شروح التلخيص ص464	البلاغة العامة
		نجم الدين بن الأثير – جوهر الكنز ص121	البلاغة العامة
1	العدول من أسلوب فى الكلام إلى أسلوب آخر مخالف له	العلوى – الطراز 2 /132	البلاغة العامة
		نقله السبكى دون عزو – شروح التلخيص 1 /646	البلاغة العامة
12	بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله	ينسبه السبكى إلى التنوخى فى الأقصى القريب، وإلى ابن الأثير فى كنز البلاغة وابن النفيس فى طريق الفصاحة، انظر شروح التلخيص 1 /478	
		التهانوى – كشاف اصطلاحات الفنون 1 /1389	معجم مصطلحات

يكشف العرض السابق للمفاهيم التى تعاورت على مصطلح الالتفات فى التراث البلاغى عن وجود ثلاثة عشر مفهوماً تحيل على ثلاث عشرة ظاهرة متمايزة اصطلح عليها بـــ" الالتفات ". نستطيع من خلال تحليل العلاقات بين هذه الظواهر أن نرجعها إلى ظاهرة واحدة تحتوي داخلها حزمتين رئيسيتين. تتكون كل حزمة من مجموعة من الظواهر التى ترتبط فيما بينها ارتباطاً وثيقاً، وتختلف العلاقات التى تربط بين كل مجموعة من الظواهر عن المجموعة الأخرى.

الظاهرة العامة التى تضم كل الظواهر هى: " العدول من أسلوب فى الكلام إلى أسلوب آخر مخالف له " [1] (رقم12) أو ما أطلق عليه السبكى نقلاً عن مجهول " نقل الكلام من

(1) الطراز : 2 /32.

حالة إلى أخرى مطلقاً ". (1) نحن أمام ظاهرة العدول غير مقيدة بحدود، حيث كل نقل أو تحول مطلقاً يسمى التفاتاً. لقد كان القول بهذا المفهوم مدفوعاً بنزعة تعميمية شديدة تجلت في جملة العلوي التي ينتصر فيها له " وهذا أحسن من قولنا: هو العدول عن غيبة إلى خطاب، وعن خطاب إلى غيبة، لأن الأول يعمُّ سائر الالتفاتات كلها، والحد الثاني إنما هو مقصور على الغيبة والخطاب لا غير... فلهذا كان الحد الأول هو أقوى دون غيره ". (2) وربما كان تعدد مفاهيم المصطلح ورغبة العلوي في وضع حد جامع له، هو الدافع لصياغة مفهوم على هذا القدر من الاتساع.

واختيار هذا المفهوم بوصفه المفهوم الضام للمفاهيم الأخرى للالتفات قائم على البراح الذي يمنحه ملفوظه، وليس على تصور واضعه له. فالعلوي لم يكن في خطته أن يضم مصطلح الالتفات كل صور العدول، وإلا لكان ذكرها. وهو لم يفعل. ولم يشر إلى وجود صور لم يذكرها عدا تحولات الضمائر والأزمنة والعدد. ولكن منطوق مفهومه يؤخذ منه أن الالتفات يضمُّ كل صور العدول، ودلالة المنطوق هي ما نستند إليه في القول بأن الصياغة اللفظية لهذا المفهوم تحيل على الظاهرة الكبرى التي تضم الظواهر التي اصطلح عليها بـــ" الالتفات ".

تحت هذه الظاهرة الكبرى توجد حزمتان: الأولى تشمل تحولات ضمائر الخطاب وزمنه وعدد المخاطبين والثانية، تشمل التحولات من معنى إلى معنى. وتضم الحزمة الأولى الظواهر التالية:

1 - التحول من الخطاب أو الغيبة أو التكلم إلى الآخر.

2 - التحول عما كان حقه التعبير بالغيبة أو الخطاب أو التكلم إلى الآخر.

3 - التحول من الماضي إلى المستقبل والعكس، والتحول من الماضي والمستقبل إلى الأمر والعكس.

4 - الرجوع من التثنية إلى الجمع ومن الجمع إلى الواحد.

5 - بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله.

الظواهر الخمس يجمعها جذر واحد هو كونها انتهاكات للنسق اللغوي، تستهدف تغيير ضمير الخطاب أو زمنه أوعدد المخاطبين. ونرى أن تعلق مفهوم تحولات الضمائر بمصطلح الالتفات هو العلة وراء تعلق بقية الظواهر به، نتيجة وجود علاقة المشابهة بين هذه الظواهر،

(1) شروح التلخيص 1 /464.

(2) الطراز 2 /132.

وارتباطها الوثيق الذى يضرب بعمق فى تربة الدراسات البلاغية، فقد جمع الأخفش الأوسط (215هـ) بينها تحت مقولة واحدة أطلق عليها " مما يخرج من أوله ". (1)

وقد أدرك السبكى طرفاً من هذه العلاقة فى سياق عرضه لرأى من جعل من الالتفات تحولات عدد المخاطبين. يقول " وجعل غيره منه الانتقال من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجمع لغيره، وهو أقرب شىء للالتفات المشهور، لمشابهته له فى الانتقال من أحد أساليب ثلاثة لآخر، وفى انقسامه إلى ستة أقسام ". (2) ورغم أن السبكى يتوقف عند المشابهة الشكلية التى يمكن معها تسمية كل ظاهرة ينتقل فيها من أحد أساليب ثلاثة إلى آخر، وتنقسم إلى ستة أقسام التفاتاً، إلا أن حدسه بالمشابهة يستحق التقدير. لقد أُنتجت الظاهرة (مفهوم رقم 7) عن طريق تطوير الظاهرة رقم (2) حيث تم تجاوز تحولات الضمائر داخل النص إلى تحولاته داخل المقام، ليصبح من الالتفات التحول من ضمير يفترضه المقام إلى ضمير آخر يرد فى النص، أما ظاهرة تحولات الأزمنة فقد جاءت مقترنة دائماً بتحولات الضمائر، فقد مثلت عند القائلين بها جزءاً من مفهوم مصطلح " الالتفات " على سبيل توسيع المفهوم، ولم تستقل بالمصطلح قط، والعلاقة وثيقة بين تحولات الضمائر وتحولات الأزمنة، فمن الناحية العملية تقترن الظاهرتان فى كثير من آى القرآن الكريم (3)، ومن الناحية النظرية تكون الظاهرتان معاً ضمير الخطاب وزمنه، وتوجد بعض التعالقات بين بعض الضمائر والأزمنة، حيث يقترن الخطاب والتكلم بالزمن الحاضر، وتقترن الغيبة بالزمن الماضى، وقد يؤدى التحول بين ضمائر الخطاب إلى تحولات فى زمنه والعكس.

ويمكن كذلك تعليل إلحاق ظاهرة تحولات عدد المخاطبين بمصطلح الالتفات بوجود علاقة مشابهة بين ظاهرة تحولات عدد المخاطبين وظاهرة تحولات الضمائر. فبالإضافة إلى المشابهة الشكلية التى رصدها السبكى تقترن الظاهرتان فى كثير من النصوص. (4) أما العلاقة بين ظاهرة تحولات الضمائر وظاهرة بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله فهى أوثق هذه

---

(1) معانى القرآن للأخفش: 1 /133-140، والظواهر نفسها توجد مجتمعة عند ابن قتيبة تحت عنوان" مخالفة ظاهر اللفظ معناه" تأويل مشكل القرآن ص275.

(2) شروح التلخيص - 1 /464.

(3) مثل قوله تعالى" والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت" فاطر آية9.

(4) مثل قوله تعالى" والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت " فاطر آية 9 حيث تتضمن جملة فسقناه) ثلاثة تحولات: الأول فى الضمير من الغيبة إلى التكلم، والثانى فى الزمن من الماضى إلى المضارع، ثم من المضارع إلى الماضى، والثالث فى العدد من المفرد الغائب إلى الجمع المتكلم، والتحولات الثلاثة تتعاضد فى تحقيق فعالية الخطاب وأثره.

العلاقات، حيث إن الثانية تدخل في أحد أقسام الأولى وهو التحول من الخطاب إلى الغيبة، حيث بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله يحقق التفاتاً من الخطاب إلى الغيبة.

والملاحظ من متابعة حركة المصطلح داخل الزمن أن إدخال هذه الظواهر إلى الالتفات تم في فترات متأخرة نسبياً، بدءاً من ابن الأثير 636هـ، وربما يرجع ذلك إلى الرغبة في توسيع الالتفات ليشمل ظواهر لم تستقر تسميات لها، بينما تجمعها بظاهرة تحولات الضمائر علاقة مشابهة. وبذلك يمكن القول إن ارتباط هذه الظواهر بمصطلح الالتفات جاء نتيجة ارتباط إحداها به، ونظراً لعلاقة المشابهة بين هذه الظواهر انضمت إليها وأخذت تسميتها. ونستخلص من ذلك أن أحد الإجراءات التي استخدمها البلاغيون العرب في توسيع مفهوم المصطلح هو إطلاق المصطلح على الظواهر القريبة من الظاهرة التي يطلق عليها المصطلح في الأصل.

الحزمة الثانية تشملها ظاهرة عامة هي التحول من معنى إلى معنى آخر (مفهوم رقم 3). وقد خضعت هذه الظاهرة العامة لعملية تضييق وتخصيص على يد قدامة بن جعفر (مفهوم رقم 4)، وذلك عن طريق تحديد الدافع للتحول وتحديد العلاقة بين المعنى المتحول عنه والمتحول إليه، فالدافع إلى التحول عند قدامة مرهون بأن يعترض الشاعر شك في معناه (المتحول عنه) أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله، أو سائلاً يسأله عن سببه[1]، هذا الدافع - بحسب رأي قدامة - قد يكون داخلياً، نحو ظن الشاعر بأنه لم يحسن التعبير عن معناه، أو خارجياً، حين يضع الشاعر في حسبانه سياق الاستقبال الفعلي لقصيدته، ويحاول أن يتوقع الاعتراضات، ويردها قبل أن تقال، وعلى ذلك يقوم المعنى المتحول إليه بأداء وظائف للمعنى المتحول عنه " فإما أن يؤكده، أو يذكر سببه، أو يحلّ الشك فيه".[2]

وبذلك قيد قدامة المفهوم السابق لمصطلح الالتفات ب"الانصراف من معنى إلى معنى آخر"، باشتراطه أن يكون الانصراف بهدف سد ثغرات المعنى المتحول عنه، وأن يكون المعنى المتحول إليه تأكيداً أو تعليلاً للمعنى المتحول عنه.

تعد ظاهرة اعتراض كلام في كلام (مفهوم رقم 5) حالة من حالات التحول من معنى إلى معنى

(1) نقد الشعر ص147.

(2) المصدر السابق ص: 147.

آخر [1]، تتحقق حين يقع المعنى المتحول إليه بين جزئى المعنى المتحول عنه، على أن يفصل المعنى المتحول إليه الجملة اللغوية الخاصة بالمعنى المتحول عنه.

معـــــــــــــــــــــ معنى (2) ـــــــــــــــــــــ نى (1)

أما ظاهرة الاستدراك على كلام سابق بأداة استدراك (مفهوم رقم 6) فتمثل تقييداً للتحول من معنى إلى معنى عن طريق تحديد العلاقة بين المعنى المتحول عنه والمتحول إليه بأنها علاقة تعارض، واشتراط أن يكون الرابط بينهما إحدى أدوات الاستدراك.

وعلى العكس من ذلك قام القرطاجنى بتخصيص ظاهرة " التحول من معنى إلى معنى آخر " عن طريق تقييده لقصدية التحول وأداته، فقد اشترط انتفاء القصدية وانتفاء الواسطة لفظية كانت أو غير لفظية، وأصبح الالتفات عنده هو: "الخروج من معنى إلى معنى دون واسطة أو قصد " (مفهوم رقم 10).

والمفهوم الأخير الذى تضمه هذه الحزمة هو تضييق للظاهرة العامة؛ "التحول من معنى إلى معنى آخر ". حيث يشترط ابن أبى الإصبع المصرى أن تتألف عملية التحول من معنى إلى معنى من حركتين للتحول وليس حركة واحدة، بحيث يتم التحول من المعنى الأول قبل تمامه إلى المعنى الثانى، ومن المعنى الثانى قبل تمامه إلى المعنى الأول:

معـــــــــــــ معـــــــــــــ نى (1) ـــــــــــــ نى (2)

ويظهر التحليل السابق أن تعلقات المفاهيم بمصطلح الالتفات تمت عبر عمليتين معرفيتين متعارضتين الأولى: هى توسيع الظاهرة التى يحيل إليها المصطلح عن طريق ضم ظواهر مشابهة من خلال تنحية خصوصياتها لصالح المشترك بينها. والثانية: تضييق الظاهرة التى يحيل إليها المصطلح عن طريق تفريعها وتقسيمها من خلال تعميق الخصوصيات وتنحية المشترك؛ فى الأولى يتولد تعلق المصطلح بالظواهر عن طريق الدمج بين ظواهر متشابهة، وفى الثانية عن طريق انشطار الظواهر المتشابهة.

يكشف التحليل عن أن العمليتين استخدمتا – فى الغالب – فى حقلين معرفيين مختلفين؛ الأولى: فى حقل البلاغة العامة وإعجاز القرآن، وطبقت على ظواهر ذات طبيعة

---

(1) يرى الباحث أن تسمية ظواهر مثل اعتراض كلام فى كلام أو الاستدراك على كلام سابق باستخدام حرف استدراك بالالتفات يرجع إلى التباسات قرائية لدى بعض البلاغيين ممن قرأوا بديع ابن المعتز، ولكن لا يحول ذلك دون اكتشاف العلاقات التى تربط هذه الظواهر، تلك العلاقات التى يبدو أن ابن المعتز نفسه كان واعياً بها حين وضع هذه الظواهر متتابعة، وهى العلاقات التى ربما أوجدت للقراءة الملتبسة تبريراً ما.

لغوية يجمع بينها كونها انتهاكاً للنسق القاعدى للغة، والثانية استخدمت – غالبا – فى حقل شروح الشعر ونقده، وطبقت على ظواهر تخص تحولات المعنى. ويمكن القول بذلك إن تعلقات المفاهيم بمصطلح الالتفات فى البلاغة العربية تولدت بمجملها عن هذين الإجراءين: دمج الظواهر المتشابهة، أو انشطارها. وثمة نتيجة أخيرة يخرج بها هذا التحليل تتعلق بنص ابن المعتز عن الالتفات. الذى قام بدور محورى فى تكوين البنية الاصطلاحية للالتفات، ويمثل النص المحورى الذى انطلقت منه كل محاولات التحديد المفهومى للالتفات، وهو أمر يؤكد مركزية كتاب البديع فى التراث البلاغى العربى.

2 – تحليل المفهوم إلى عناصره الأساسية:

يتكون مفهوم تحولات الضمائر من:

أ – فعل التحول.

ب – الضمائر المتحول منها وإليها.

جـ – النسق.

أ – المفردات الدالة على فعل التحول فى المؤلفات البلاغية

إن استقصاء النصوص[1] التي تضمنت المفردات التي تشير إلى فعل التحول بين الضمائر، تشير إلى إلى استخدم القدماء لاثنى عشر فعلاً ومصدرين للدلالة على فعل التحول.

تضم مجموعة من هذه النصوص الأفعال: "ترك، حول، رجع، جعل، خرج، انحرف، عدل، التفت، انتقل، نقل، تصرف، لم يقل". هذه المجموعة تضم أفعالاً يحمل معناها المعجمى دلالة "التحويل" هي: "حّول، نقل، انتقل، انحرف، عدل، يصير، رجع، ترك". وأفعالاً لا يحمل معناها المعجمى دلالة التحويل هي: "خرج، لم يقل، جعل، تصرف". وتكتسب هذه الأفعال دلالتها على التحول من السياق. ومفردات هذه المجموعة شائعة الاستعمال فى المؤلفات البلاغية. كما أنه يتم تبادل استخدامها دون تمييز فيما بينها. يؤكد ذلك استخدام مؤلّف واحد لأكثر من فعل على سبيل الترادف، مثل استخدام الزركشى لأفعال "عدل، انتقل، التفت".

---

[1] – مجاز القرآن لأبي عبيدة - 1 /11. – 23. شرح القصائد للأنبارى ص299-300. معانى القرآن للفراء 211/3. التبيان للطوسى 1 / 327 – 328 – 354 . المحتسب لابن جنى 1 / 145. شروح التلخيص للمغربى 1 / 471. البرهان للزركشى 3/ 363 – 364 – 365 – 366 – 367 – 368 – 369 – 370 – 371 – 372 – 375 – 377. شروح التلخيص للسبكى 1 /469. الكشاف للزمخشري 2 / 171 – 186 – 277 – 540. البديع لابن المعتز ص 58. المنزع البديع للسجلماسى ص 441.

وتضم المجموعة الأخرى مصدرين "الانصراف، الصرف". هذان المصدران الدالان على فعل التحول استخدما بوصفهما مصطلحين دالين على ظاهرة التحول ذاتها. وهو ما يقدم لنا مثالاً على تحول مفردة من كونها لبنة فى الصيغة اللفظية لمفهوم إلى كونها مصطلحاً دالاً على الظاهرة التى يشير إليها. وهو أمر يشير أيضاً إلى محورية فعل التحول فى صياغة مفهوم الالتفات.

ب – المفردات الدالة على نوع الضمير فى المؤلفات البلاغية:

	المفردة	مصدرها	ما تشير إليه
1	الشاهد	مجاز القرآن – أبو عبيدة ص11	استخدام ضمير الخطاب
2	الكناية	تأويل مشكل القرآن – ابن قتيبة ص289	استخدام ضمير الغيبة
3	المغايبة	فقه اللغة – الثعالبى ص349	استخدام ضمير الغيبة
4	المواجه	فوائد مشكل القرآن ابن عبدالسلام ص52	استخدام ضمير الخطاب
5	خطاب الغائب	التبيان– الطوسي 1 /35	استخدام ضمير الغيبة
6	الحكاية	التبيان– الطوسى 1 /35	استخدام ضمير المتكلم
7	الحضور	مفتاح العلوم – السكاكى ص112	تشمل ضميرى التكلم والخطاب
8	المتكلم	المصباح – بدر الدين بن مالك ص31	استخدام ضمير التكلم
9	الغيبة	الأقصى القريب–التنوخى ص44	استخدام ضمير الغائب
10	الخطاب	الإتقان –السيوطى 1 /253	استخدام ضمير الخطاب
11	التكلم	مطرد الاستخدام فيما عدا ذلك من المؤلفات	استخدام ضمير التكلم

يرصد الجدول السابق المفردات الدالة على نوع الضمير فى التراث البلاغى. وقد استخدم البلاغيون ثلاث مفردات للدلالة على ضمير التكلم هي: "الحكاية، التكلم، المتكلم"، وثلاث مفردات للدلالة على ضمير الخطاب هي: "الشاهد، المواجه، الخطاب"، وأربع مفردات للدلالة على ضمير الغيبة هي: "الكناية، المغايبة، الغيبة، خطاب الغائب"، ومفردة واحدة للدلالة على التكلم والخطاب معاً هي: "الحضور".

هذه المفردات تستخدم بوصفها مصطلحات ذات قدرة استبدالية يحل بعضها محل بعض. وقد استقرت مصطلحات "التكلم، الخطاب، الغيبة" بوصفها المصطلحات الأساسية المعتمدة

للدلالة على أنواع الضمائر. ومثلت بقية المفردات استخدامات فردية خاصة بمؤلف محدد. ويكشف الجدول السابق عن وجود وعي باقتران ضميرى التكلم والخطاب اللذين يمثلان ضمائر "الحضور" وذلك فى مقابل ضمير "الغيبة" كما يظهر عند التوخى.

جـ ـــ المفردات الدالة على النسق فى المؤلفات البلاغية:

م	المفردة	مصدرها
1	الأصل	البرهان – الزركشى 3 / 363، 367، 377. شرح التلخيص – المغربى 1/ 471.
2	مقتضى الظاهر	السعد– شرح التلخيص 1 /471.
3	القياس	شروح التلخيص – التفتازانى – 1 /471
4	سياق ماتقدم	فوائد مشكل القرآن – عز الدين بن عبدالسلام: ص 159
5	النسق	سر الفصاحة – ابن سنان الخفاجى – ص 109

تكشف هذه المصطلحات عن وعى كامن بأن الالتفات هو تحول عن أصل ظاهر قياسى نسقى.

3 – تثبيت المفهوم ورصد ما يتعاوره من مصطلحات:

ينتمى هذا الإجراء إلى ما يعرف بالتحليل المصطلحى Terminological analysis " وهو تحليل غايته ضبط المفاهيم الخاصة بميدان معين، ودراسة المصطلحات التى تدلُّ عليها فى سياقها، وكذلك دراسة العلاقات التى تربط بينها ". (1)

(1) المصطلحية: ص: 233: ترجمة عن توصية اللجنة التقنية الجديدة بكندا.

سيرة حياة مفهوم "تحولات الضمائر": الحركة داخل الزمن(ق8/3 هـ)

الزمن	المصطلح	النص
207ه	المجاز	" من مجاز ماجاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد، ثم تركت وحولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب... ما جاء خبره عن غائب ثم خوطب الشاهد " مجاز القرآن لأبي عبيدة 1 / 19
210	ــ[1]	" والقرآن يأتي على أن يخاطب المنزل عليهم أحياناً، وحيناً يجعلون كالُغيب " معاني القرآن للفراء 3 / 211
215	ــ	" كأنه خاطبهم من بعد ماحدث عنهم " " فأخبر بلفظ الغائب وقد كان في المخاطبة " معاني القرآن للأخفش 1 /137 ــ 138
276	مخالفة ظاهر اللفظ معناه	" باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه ومنه أن تخاطب الشاهد بشيء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب، وكذلك تُصَيِّر خطاب الغائب للشاهد" تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص 289 – 290
285	ــ	" العرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد، ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب " الكامل للمبرد 1 /30
296	الالتفات	" باب الالتفات: وهو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة ومايشبه ذلك ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر" البديع لابن المعتز ص58
310	ــ	" العرب ... تخاطب ثم تخبر عن غائب، وتخبر عن غائب ثم تعود إلى الخطاب " تفسير الطبري 1 /153
311	ــ	" وجرين بهم: ابتداء الكلام خطاب، وبعد ذلك إخبار عن غائب " معاني القرآن للزجاج 13/3، وإعراب القرآن المنسوب له2/ 923
328	ــ	" العرب ترجع من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة " شرح القصائد السبع للأنباري ص300
337	الصرف	" وأما الصرف (فإنهم)[2] يصرفون القول من المخاطب إلى الغائب، ومن الواحد إلى الجماعة " البرهان لابن وهب الكاتب ص152

(1) هذه العلامة تعني أن البلاغي لم يستخدم مصطلحا للإشارة إلى الظاهرة.

(2) في التحقيق المطبوع للكتاب فإنه وهو ما لا يستقيم معه الكلام.

338	—	" العرب ترجع من الإخبار إلى المخاطبة، ومن المخاطبة إلى الإخبار " شرح القصائد التسع للنحاس، القسم الثانى ص463.
370	—	" العرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى الخطاب " الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه ص 121
370	—	"العرب تخاطب ثم تخبر، وتخبر ثم تخاطب". معانى القراءات للأزهرى 2 / 96
377	—	" ويجوز أن تكون التاء لاحقة فعل المخاطب بعد الغيبة، كقوله: (إياك نعبدُ) بعد الغيبة". كتاب الشعر لأبى على الفارسى ص195، والحجة له 3 /383.
387	الالتفات	" والالتفات: الانصراف عن المخاطبة إلى الإخبار أو خلاف ذلك". مفاتيح العلوم للخوارزمى ص61
392	شجاعة العربية	" ترك الخطاب إلى لفظ الغيبة ... ووسمناه هناك بشجاعة العربية " المحتسب لابن جني 1 /145، وتفسير أشعار هذيل ص139، والفسر 210/1، والخاطريات ص69
392	—	" عدل عن ضمير المخاطب إلى ضمير الغايب". الوساطة للقاضى الجرجانى ص344 .
395	الالتفات	" وفى الشعر الالتفات، وهو انصراف عن مخاطبة إلى إخبار وعن إخبار إلى مخاطبة " المنصف لابن وكيع التنيسى ص166.
395	—	"تحويل الخطاب من الشاهد إلى الغائب ومن الغائب إلى الشاهد" الصاحبى لابن فارس ص356-357.
421	—	" نقل الكلام عن الإخبار إلى الخطاب". شرح الحماسة للمرزوقى 1/ص349- 280 و"خاطب فى الأول، ثم عدل فى الثانى إلى الإخبار عن نفسه " 1 /271.
429	—	" الرجوع من المخاطبة-إلى الكناية ومن الكناية إلى المخاطبة " فقه اللغة للثعالبى ص349.
437	الالتفات	" الالتفات: انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة " مواد البيان – لعلى بن خلف ص288.

456	الالتفات	" وقد أحسن ابن المعتز فى العبارة عن الالتفات بقوله: "هو انصراف المتكلم من الإخبار إلى المخاطبة، ومن المخاطبة إلى الإخبار". العمدة لابن رشيق ص46 .
460	—	" عدل عن خطاب المواجه إلى الكناية عن الغائب". التبيان للطوسى 1 /35.
466	—	" تغير الكنايات، وعدول الضمائر عن النسق فى إيرادها". سر الفصاحة لابن سنان الخفلجي ص109.
502	—	" عدل عن الخطاب إلى الإخبار". شرح المفضليات للتبريزى 1/445-448، و" نقل الكلام عن الإخبار إلى الخطاب" نفسه 1/ص41، وشرح القصائد العشر له ص268.
516	—	" رجع من الخطاب إلى الغيبة " معالم التنزيل للبغوى 3 / 149.
538	الالتفات + الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم	" الالتفات فى علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن للزمخشرى1/118.
	خطاب التلون	" خطاب التلون وهو ثلاثة أوجه، أحدها أن يخاطب ثم يخبر، والثانى أن يخبر ثم يخاطب .. " الدر الدائر للزمخشرى ص23 .
541	—	" الخروج من الغيبة إلى الخطاب والعكس " المحرر الوجيز لأبى عطية الغرناطى 1 /107.
548	—	"العدول عن الخبر إلى الخطاب". تفسير الطبرسى مجمع البيان 1/40.
584	الانصراف	" باب الانصراف: وهو أن يرجع من الخبر إلى الخطاب، أو من الخطاب إلى الخبر " البديع لابن منقذ ص287.
597	—	" العرب ترجع من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة " زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى 1 /14.
606	الالتفات	" الالتفات: قيل إنه العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو على العكس " نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز للرازى ص203.
616	—	" عادة العرب الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة " إملاء ما منَّ به الرحمن للعكبرى 1 /6.

625	الانصراف	" باب الانصراف: وهو أن تبتدئ المخاطبة بماء الغائب ثم تعدل إلى المخاطبة بالكاف". معالم الكتابة لابن شيث القرشي ص106.
626	الالتفات	"الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر ويسمى هذا النقل التفاتاً". المفتاح للسكاكي ص 112.
636	الالتفات + شجاعة العربية	"في الالتفات.... ويسمى أيضاً شجاعة العربية وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول في الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة " المثل السائر لابن الأثير 2 /168.
656	الالتفات	" وهو انصراف عن مخاطبة إلى إخبار وعن إخبار إلى مخاطبة " نضرة الإغريض في نصرة القريض للمظفر بن الفضل العلوي ص105.
660	الالتفات	" الالتفات هو العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم أو على العكس " معيار النظار في علوم الأشعار للزنجاني ص103.
660	التلوين + تلوين	"الانتقال من الغيبة إلى الخطاب يسمى الالتفات..."ويسمى التلوين". فوائد في مشكل القرآن لعز الدين بن عبدالسلام ص52 - 53.
684	الخطاب+ الالتفات —	" تلوين الخطاب وتنويعه، أعني الخروج من الخطاب إلى الغيبة وبالعكس.. " المصدر السابق ص 101.
686	الالتفات	" يسأمون الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب، فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة " منهاج البلغاء للقرطاجني ص348 .
ق 7	التوسع	"وقد ينقل كل من الحكاية والخطاب والغيبة إلى موضع الآخر، ويسمى ذلك التفاتاً"المصباح في المعاني والبيان والبديع لابن مالك ص30.
704	الالتفات+ خطاب التلون	" ومن التوسعات في اللغة العربية الرجوع من الغيبة إلى الحضور ومن الحضور إلى الغيبة " الأقصى القريب للتنوخي ص44.
721	الالتفات+ خطاب التلوين	" الالتفات: وهو المدعو عند قوم خطاب التلون هو تردد المتكلم في الوجوه " المنزع البديع للسجلماسي، ص442.
		" أو يخرج من حضور إلى غيبة وعكسه، ويسمى الالتفات، ويقال له خطاب التلون " الروض المريع، ابن البناء العددي ص98.

737	الالتفات	" والالتفات ينقسم إلى أقسام، فمنها الرجوع عن الغيبة إلى الحضور ومن الحضور إلى الغيبة " جوهر الكنز لابن الأثير ص 120.
739	الالتفات	" التكلم والخطاب والغيبة مطلقاً ينقل كل واحد منها إلى الآخر ويسمى هذا النقل التفاتاً " الإيضاح فى علوم البلاغة للقزوينى ص72.
745	–	" قوله: إياك نعبد وإياك نستعين انتقال من لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب ". البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى 1 /252.
745	الالتفات+ شجاعة العربية	"فى بيان الالتفات··· وقد يلقب شجاعة العربية··· الضرب الأول ما يرجع إلى الغيبة، والخطاب، والتكلم". الطراز للعلوى 2 /131.
773	الالتفات	" نقل الكلام··· من التكلم والخطاب والغيبة··· يسمى التفاتاً". شرح التلخيص للسبكى 1 /463.
786	الالتفات	" الالتفات التعبير عن معنى بطريق من الثلاثة التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عن ذلك بطريق آخر منها " شرح التلخيص لأكمل الدين البابرتى ص257.

تعالق مفهوم تحولات الضمائر بالمصطلحات في التراث البلاغي: تجريد خارج الزمن.

م	المصطلح	عدد مرات استخدامه	الحقول المعرفية التى استخدم فيها
1	الالتفات	عشرون	نقد الشعر
			تفسير القرآن وإعجازه
			البلاغة العامة
			معاجم المصطلحات
2	الصرف	مرة واحدة	البلاغة العامة
3	خطاب التلون	ثلاث مرات	البلاغة العامة
4	شجاعة العربية	ثلاث مرات	البلاغة العامة
5	الانصراف	مرتان	البلاغة العامة
6	التلوين	مرة واحدة	البلاغة العامة
7	تلوين الخطاب	مرة واحدة	البلاغة العامة

وفقاً للتجريد السابق تعرض خمسون عالماً لمفهوم تحولات الضمائر، بعضهم عرض له مرة واحدة، وبعضهم مرات، بعضهم ذكره فى سياق استطرادى عارض، وآخرون خصوه بمبحث كامل فى مؤلفاتهم، بعضهم عرض له فى مؤلّف واحد، وآخرون عرضوا له فى أكثر من مؤلّف. وقد توزعوا بحسب اصطلاحهم على المفهوم إلى فئتين:

الأولى: علماء اصطلحوا على المفهوم: وعددهم سبعة وعشرون عالماً.

الثانية: علماء لم يصطلحوا على المفهوم: وعددهم ثلاثة وعشرون عالماً.

وقد استخدم عشرون عالماً ممن اصطلحوا على المفهوم مصطلح الالتفات للإحالة على ظاهرة تحولات الضمائر. وهو ما يشير إلى أن مصطلح الالتفات هو الأكثر تعلقا بظاهرة تحولات الضمائر فى التراث البلاغى.

تطرد حركة المفهوم باتجاه التعلق بالمصطلح فى اتجاه صاعد مع الزمن. حيث الانتقال من حالة عدم استخدام مصطلح إلى تواتر الاستخدام، إلى تعدد المصطلح الدال على الظاهرة داخل المؤلف الواحد. ففى القرن الرابع تعرض ثلاثة عشر عالماً للظاهرة، اصطلح عليها من بينهم أربعة علماء، وذكر الآخرون مفاهيم للظاهرة من غير أن يضعوا مصطلحات لها، أما فى القرن الثامن فقد تعرض ثمانية علماء للظاهرة، اصطلحوا عليها جميعاً إلا واحداً. واستخدم اثنان منهم أكثر من مصطلح للإحالة إليها.

نستطيع بذلك أن نرصد تطور عملية الاصطلاح فى الخطاب البلاغى التراثى حول الالتفات، حيث تبدأ هذه العملية بإدراك للظاهرة، وصياغتها لغوياً، ووضعها فى أطر كبرى تتضمن ظواهر أخرى مشابهة، ويطلق على هذه الظواهر مصطلح واحد، ثم تستقل الظاهرة بمصطلحها الذى يشيع تداوله وصولاً إلى استخدام أكثر من مصطلح لتأكيد تمايزها.

فى إطار التحول من عدم استخدام مصطلح إلى تواتر استخدامه ثمة تحول آخر من استخدام مصطلحات عامة تحيل على ظاهرة كبرى تشمل عدداً من الظواهر، إلى استخدام مصطلحات تخص مفاهيم صغرى مستقلة. وفيما يلى عرض للمصطلحات العامة والخاصة التى أطلقت على الالتفات.

أ – مصطلحات عامة:

1 – المجاز عند أبى عبيدة: ويشمل معظم طرائق القول الأدبى.

2 – مخالفة ظاهر اللفظ معناه عند ابن قتيبة: ويشمل بعض ظواهر التحول الدلالى

والأسلوبي.

3 – شجاعة العربية عند ابن جني: ويشمل الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف وذكر ابن جني أن منه تحولات الضمائر، وإن لم يذكره في الخصائص، وإنما ذكره في المحتسب.

4 – شجاعة العربية عند ضياء الدين بن الأثير: في مثله السائر يشمل تحولات الضمائر والزمن. وفي جامعه الكبير يضاف إليهما التقدم والتأخير والاعتراض وعكس الظاهر والحمل على المعنى.

5 – خطاب التلون عند الزمخشري: ويشمل التحول من مخاطب إلى مخاطب آخر إضافة إلى تحولات الضمائر.

6 – الالتفات: عند ابن رشيق ويشمل الاعتراض والتذييل والاستدراك إلى جانب تحولات الضمائر، وعند ابن المعتز يشمل الانصراف من معنى إلى معنى..... (1)

7 – الصرف: عند ابن وهب الكاتب: ويشمل التحول من الواحد إلى الجماعة إضافة إلى تحولات الضمائر.

8 – التوسع: عند التنوخي: يشمل تحولات الزمن والعدد والضمير.

9 – الانصراف: عند ابن منقذ ويشمل الاستدراك إضافة إلى تحولات الضمائر.

ب – مصطلحات مختصة بتحولات الضمائر:

1 – الالتفات: عند الزمخشري وجمال الدين الأندلسي، والخوارزمي ومعظم شراح التلخيص.

2 – خطاب التلون عند السجلماسي.

3 – التلوين، وتلوين الخطاب، وتنويعه عند عز الدين بن عبدالسلام.

4 – الانصراف عند القرشي.

ومصطلحات الحزمة الثانية يصلح كل مصطلح فيها أن يكون مرادفاً حقيقياً للآخر، والترادف هو أن يدل مصطلح أو أكثر في لغة ما على مفهوم واحد. والمترادفات الحقيقية استبدالية في كل الخطابات المتعلقة بالميدان الواحد، مما يفضي إلى وجوب كونها في نفس المستوى المفهومي. وهذا متحقق بالفعل في هذه المصطلحات.

---

(1) انظر مفاهيم مصطلح الالتفات 2-2.

ثمة ملاحظة تتعلق بالعرض السابق حيث تكثر المصطلحات العامة فى مقابل المصطلحات الخاصة، وهو ما يعكس هيمنة الإدراك الشمولى للظواهر الأدبية، حيث إن وضع مجموعة من الظواهر تحت مصطلح واحد ينبنى على وعى بتعالقاتها، سواء صرح بهذا الوعى أم لا، ولكن هذا الإدراك النظرى لم يفعّل فى تحليلات البلاغيين لظاهرة تحولات الضمائر فى النصوص البليغة، حيث درست الظاهرة فى معظم الأحوال بمعزل عن الظواهر البلاغية الأخرى.

تشير حركة المفهوم داخل الحقول المعرفية إلى أن حقلين من الحقول المعرفية المنتجة للمعرفة البلاغية حول الالتفات لم يستخدما مصطلحاً.

الأول: هو حقل القراءات القرآنية، حيث لم يستخدم أبو على الفارسى، أو ابن خالويه، أو الأزهرى، أو العكبرى مصطلحات لتحيل إلى مفهوم تحولات الضمائر (1) والثانى هو حقل شروح الشعر عند الأنبارى، والنحاس، والتبريزى، والمرزوقى. كما تواتر عدم استخدام أى مصطلح للإشارة إلى الظاهرة لدى ثلاثة من نقاد الشعر هم القاضى الجرجانى، وابن سنان الخفاجى، وحازم القرطاجنى (2).

وقد خرجت المصطلحات التى استخدمت للإحالة إلى ظاهرة تحولات الضمائر من حقول معرفية مختلفة، فقد خرج مصطلح " الالتفات " من حقل نقد الشعر، وخرج مصطلح " شجاعة العربية " من حقل علوم اللغة العربية، أما مصطلحات " تلوين الخطاب " و" التلوين " و" خطاب التلون " فقد خرجت من حقل علوم القرآن وإعجازه. ويلاحظ أن المصطلحات الثلاثة الأخيرة تأسست على حرية التبادل بين المضاف والمضاف إليه (تلوين الخطاب)، (خطاب التلون)، أو على إسقاط أحدهما " التلوين " وهو ما يعكس الحرية التى كان البلاغى التراثى يمارسها فى عملية إنشاء المصطلح.

---

(1) انظر تعليل ذلك فى: أسباب اضطراب البنية الاصطلاحية: أثر قداسة النص.

(2) انظر تعليل ذلك فى: تقويض الجمالية: الالتفات بين بلاغة العدول وبلاغة النسق.

المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن
- أسباب اضطراب البنية الاصطلاحية: أثر قدامة النص
- أسلوب الالتفات لحسن طبل
- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية دار الفكر العربي عام 1998م.
- إعجاز القرآن نشر مكتبة الحلبي، مصر. ط1 1987
- الأقصى القريب – التنوخي: طبعة الخانجي – مصر 1909هـ
- الالتفات في حاشية الشهاب لهاشم محمد هاشم
- الالتفات لتريه عبدالحميد
- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري ت (617)هـ: ، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت
- البديع لابن المعتز
- تأويل مشكل القرآن
- التغير الدلالي لعبدالحكيم راضي
- تقويض الجمالية: الالتفات بين بلاغة العدول وبلاغة النسق الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي" 370هـ": تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، نشر دار المأمون للتراث، بيروت ط1 1987م.
- حلية المحاضرة حوليات الجامعة التونسية 1988م،
- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة 1984م
- شروح التلخيص
- الطراز
- علم المصطلح بين المعجمية وعلم الدلالة: الإشكالات النظرية والمنهجية، عثمان بن طالب ضمن" تأسيس القضية الاصطلاحية" أعمال ندوة بيت الحكمة تونس 1989م
- العمدة: ابن رشيق القيرواني، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، نشر دار الجيل، بيروت ط4 1972م
- في مفهوم الإيقاع: محمد الهادي الطربلسي: حوليات الجامعة التونسية عدد 32 لسنة 1991

- المنزع البديع
- كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكرى، تحقيق د. مفيد قميحة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ط2 1984ص
- كتاب المنصف: ابن وكيع التنيسى. تحقيق عمر بن إدريس، نشر جامعة قار يونس، بنغازى ط1994
- لسان العرب: إعداد وتصنيف يوسف خياط، نشر، دار لسان العرب، بيروت د — ت.
- المصطلحية: مقدمة فى علم المصطلح: د. على القاسمى: نشر دائرة الشئون الثقافية والنشر، بغداد 1985م.
- معانى القراءات لأبي منصور محمدّ بن أحمد الأزهرى 370هـــ: تحقيق: د. عيد مصطفى، د. عوض بن حمد القوزى. دار المعارف، مصر ط 1993م
- معانى القرآن للأخفش
- معجم البلاغة العربية: بدوى طبانة
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب.
- المعيار فى نقد الأشعار: لأندلسى. ت. د. عبدالله هنداوى، مطبعة الأمانة ط1 1987م.
- مقدمة فى علم المصطلح د.محمود فهمى حجازى: . نشر دار غريب، مصر 2000م
- نظرية اللغة فى النقد العربى: د. عبدالحكيم راضى - الخانجى - ط1 1980م. مبحث الدراسات اللغوية حول القرآن نقد الشعر

— Bulletin of School of Oriental and African studies, Vol vi/part3

— Deixis (Iltifat)in the Quran. رسالة ماجستير مخطوطة بالجامعة الأمريكية